المبحث السادس : القرآن الكريم رحمة للعالمين

تتجلى الرحمة في القرآن الكريم في أشمل صورها، حيث يسبغ الله على من عمل به واسع رحمته، يقو ل سيد قطب رحمه الله:

والمنهج القرآني منهج فريد في إعادة إنشاء النفوس، وتركيبها وفق نسق الفطرة الخالصة، حيث تجدها متسقة مع الكون الذي تعيش فيه، متمشية مع السنن التي تحكم هذا الكون، في يسر وبساطة، بلا تكلف ولا تعمل، ومن ثم تستشعر في أعماقها السلام والطمأنينة الكبرى، لأنها تعيش في كون لا تصطدم مع قوانينه وسننه ولا يعاديه متى اهتدت إلى مواضع اتصالها به، وعرفت أن ناموسها هو ناموسه، وهذا التناسق بين النفس والكون، وذلك السلام الأكبر بين القلب البشري والوجود الأكبر، ينبع منه السلام بين الجماعة، والسلام بين البشر، وتفيض منه الطمأنينة والاستقرار، وهذه هي الرحمة في أشمل صورها ومعانيها. [1].

هذه بعض اللمحات، في فضل الله على الناس بهذا القرآن، الذي يقود المؤمنين به إلى الهُدى، ويسبغ عليهم رحمته وفضله، وسنتحدث في هذا المبحث عن وجه الرحمة في القرآن الكريم، وذلك عبر أربع مطالب:

المطلب الأول: الرحمة في تنزيل القرآن الكريم.

المطلب الثاني: القرآن الكريم هدى ورحمة للمؤمنين.

المطلب الثالث: القرآن الكريم رحمة للبشرية.

المطلب الرابع: في تشريع القرآن الكريم رحمة.

المطلب الأول : الرحمة في تنزيل القرآن الكريم

القرآن الكريم أنزله الله سبحانه وتعالى رحمة للبشرية، فيجب على الإنسان أن يدرك هذا إدراكا كاملا، فإن هذا القرآن أنزله الغفور الذي يغفر لمن تاب، فترك ما هو عليه من كل ما هو مخالف لشرعه، أو أي عمل يؤدي إلى غضبه وسخطه، ويجب أن يعلم أنه العزيز المنتقم ممن يخالفه، ويجب أن يعلم أن الصفة الغالبة في هذا التنزيل، هي صفة الرحمة، وما من شك أن تنزيل هذا الكتاب، جاء رحمة للعالمين، فهو رحيم إذْ أنزل إليهم هذا

1 ـ في ظلال القرآن، سيد قطب،4/ 2665 ـ 2666.

القرآن، لأنه هدى لما هم فيه من الضلال، مفصلا على علم، مبين فيه الحق والباطل، فهو بصائر للناس يعمق لهم الهداية بالإنارة، كما تكشف البصائر لأصحابها عن حقائق الأمور، وهو موعظة وشفاء، لإحياء القلوب وشفائها من الخرافة والشك والزيغ والقلق، الـذي يسيطر عليها، فهو يصدق ما في الكتب التي أنزلت من قبله، وينفي ما وقـع فيهـا مـن تحريف وتبديل، وأخيراً فهو تبيانا لكل شيء، فبه يصلح العباد شؤون حياتهم، وينـالوا رضا ربهم، ومغفرته ورحمته يوم يلقونه.

(فالله تعالى إنما نزَّل القرآن ليهتدى به لا ليختلف فيه، والهدى إنما يكون إذا عرفـت معانيه، فإذا حصل الاختلاف المضاد لتلك المعاني، التي لا يمكن الجمع بينـه وبينـها، ولم يعرف الحق، ولم تفهم الآية ومعناها، لم يحصل به الهدى والعلم الذي هو المـراد بـإنزال الكتاب[1].)

وبالتالي وجب على المسلمين تدارس هذا الكتاب، وتدبره وفهمه وحفظه، وتطبيقه في حياتهم، قال الشيخ الداعية محمد الغزالي[2]: (إن المسلمين لايزالون أوفياء لكتابهم، وهـم يأبون بصرامة وغضب أن يصرفوا عنه، وفي نفوسهم رغبات جياشة في الانقياد لتعاليمه، والاصطباغ بها ظاهرا وباطنا.

والإيمان الذي يؤسسه هذا المصحف، ليس نزوعا فرديا إلى التقوى، وسط بيئة ذاهلـة غافلة، كما أنه ليس مجموعة من الاصطلاحات الاجتماعية المعزولة عن العبادة، أو المنقطعة عن وجه الله، كلا!! إن عناصر هذا الإيمان حبات في عقد متماسك، إما أن يبقى كله، أو أن ينفرط كله ويتعرض للضياع.

---

1 ـ دقائق التفسير، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، أبو العباس، 227/2، تحقيق: محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم القرآن ـ دمشق، ط2، 1404هـ/ 1984م.

2 ـ **محمد الغزالي:** هو الداعية المجدد الشيخ محمد الغزالي السقا، ولد في 1917/9/22م، بمصر، صاحب مؤلفات كثيرة منها: الاسلام وأوضاعنا الاقتصادية، وعقيدة المسلم، وخلق المسلم، وعلل وأدوية، وفقه السيرة، الاسلام والطاقات المعطلة، الاسلام والاستبداد السياسي، جدد حياتك، ظلام من الغرب، الجانب العاطفي من الاسلام، حقيقة القومية العربية، مع الله .. دراسات في الدعوة والدعاة، من معالم الحق، من معالم الحق، وغيرها، وزيادة عن التأليف ألقى عدة محاضرات ودروس متلفزة، كان يتنقل للدعوة إلى الاسلام، شغل منصبا مرموقا في جامعة الإمير عبد القادر الاسلامية بقسنطينة، الجزائر، توفي في الرياض يوم 1996/3/9م، ودفن في المدينة المنورة بالبقيع، انظر(من أعلام الدعوة والحركة الاسلامية المعاصرة، عبد الله عقيل سليمان، ص25 ـ 38، دار التوزيع والنشر الاسلامية ـ القاهرة، ط1، 1423هـ/2002م).

الانسانية في نظر الاسلام معلولة بآفات شتى، ولكي تستشفى من هذه الآفات تحتاج إلى التداوي بالدين كله، لا يغني جزء منه عن جزء[1]، وبالتالي فالشفاء وليس الدواء هو هذا القرآن الذي بين أيدينا، وهو الرحمة التي لا داء بعدها ولا علّة.

ـــ فالقرآن تنزيل من الغفور الرحيم:

﴿ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾[2]، يقول الله سبحانه وتعالى أن الذي أنزل هذا القرآن هو الغفور الرحيم، فهو معجز: لأنه أعجزكم عن آخركم بفصاحته، وتضمنه أخبارا عن مغيبات مستقبلة، وأشياء مكنونة لا يعلمها إلا عالم الأسرار، فكيف تجعلونه أساطير الأولين؟ (إنه كان غفورا رحيما) فلذلك لا يعجل في عقوبتكم على ما تقولون، مع كمال قدرته عليها، واستحقاقكم أن يصب عليكم العذاب صبا[3].

ـــ والقرآن تنزيله ناشيء عن غاية الرحمة:

فتنزيل القرآن من أحكام رحمته، فقال تعالى عن نزول القرآن الكريم:

﴿تنزيل العزيز الرحيم﴾ [4]، بيانا لكمال عراقته، في كونه منزلا من عند الله عز وجل، كأنه نفس التنزيل وإظهارا لفخامته الإضافية، بعد بيان فخامته الذاتية، بوصفه بالحكمة وفي تخصيص الاسمين الكريمين المعربين عن الغلبة التامة، والرأفة العامة، حيث على الإيمان ترهيبا وترغيبا، وإشعار بأن تنزيله ناشيء عن غاية الرحمة. [5]

ـــ والصفة الغالبة في تنزيل القرآن صفة الرحمة:

قال تعالى مشيراً إلى نزول القرآن الكريم : ﴿تنزيل من الرحمن الرحيم﴾ [6]،والرحمن الرحيم صفتا رجاء ورحمة الله عز وجل[7]، يقول سيد قطب: وذكر الرحمن الرحيم عند ذكر تنزيل الكتاب؛ يشير إلى الصفة الغالبة في هذا التنزيل، صفة الرحمة، وما من شك أن تنزيل هذا الكتاب جاء رحمة للعالمين، رحمة لمن آمنوا به واتبعوه، ورحمة كذلك لغيرهم، لا

---

1 ـ معركة المصحف في العالم الإسلامي، الشيخ محمد الغزالي، ص7، مطبعة أمزيان، مكتبة رحاب ـ الجزائر.
2 ـ الفرقان (6).
3 ـ تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، 4 / 207.
4 ـ يس (5).
5 ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود، 7 / 159.
6 ـ فصلت (2).
7 ـ تفسير الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، 4 / 81، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت، تحقيق: عبد القادر عرفات العشا حسونة، ط2، 1416هـ/ 1996م.

من الناس وحدهم، ولكن للأحياء جميعاً، فقد سن منهجاً ورسم خطة تقوم على الخير للجميع، وأثر في حياة البشرية، وتصوراتها، ومدركاتها، وخط سيرها؛ ولم يقتصر في هذا على المؤمنين به إنما كان تأثيره عالمياً ومطرداً منذ أن جاء إلى العالمين، والذين يتتبعون التاريخ البشري بإنصاف ودقة؛ ويتتبعونه في معناه الإنساني العام، الشامل لجميع أوجه النشاط الإنساني، يدركون هذه الحقيقة، ويطمئنون إليها، وكثيرون منهم قد سجلوا هذا واعترفوا به في وضوح[1].

المطلب الثاني ـــ القرآن هدى ورحمة للمؤمنين

إن المؤمنين هم وحدهم الذين يكون القرآن هدى ورحمة لهم، يهتدون بهديه، ويمشون بنوره، يتذوقون طعم الإيمان في وجدانهم، كل ذلك برحمته، فتكون فرحتهم وسعادتهم به، يقول ابن القيم رحمة الله تعالى:

وأما المؤمنون : فاتصل الهدى في حقهم بالرحمة، فصار القرآن لهم هدى ولأولئك هدى بلا رحمة، والرحمة المقارنة للهدى في حق المؤمنين عاجلة وآجلة، فأما العاجلة فما يعطيهم الله تعالى في الدنيا من محبة الخير والبر وذوق طعم الإيمان ووجدان حلاوته، والفرح والسرور بأن هداهم الله تعالى لما أضل عنه غيرهم، ولما اختلف فيه من الحق بإذنه، فهم يتقلبون في نور هداه، ويمشون به في الناس، ويرون غيرهم متحيرا في الظلمات، فهم أشد الناس فرحا بما آتاهم ربهم من الهدى، قال تعالى : ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾[2] فعباده المؤمنين المهتدين يفرحوا بفضله ورحمته.

فأعظم الفضل والرحمة هي القرآن وسنة النبي ﷺ، فبهما سعادة الناس ونجاحهم ونجاتهم، وبقدر نصيب المؤمن من الهدى، يكون حظه من الرحمة، وبقدر إيمانه كذلك تكون الرحمة، وتكون نجاته من الشقاء ونجاته من العذاب[3].

وفي معرض الحديث عن القرآن وهديه فإنه بقدر نصيب المرء من الهدى يكون نصيبه من الرحمة، قال ابن القيم:

---

1 ـ في ظلال القرآن، سيد قطب، 5/ 3107 ـ 3108.
2 ـ يونس (58).
3 ـ إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن القيم، 172/2، 174، دار المعرفة ـ بيروت ، تحقيق محمد حامد الفقي، ط2 ـ 1395هـ /1975م.

(وقد دارت عبارات السلف على أن الفضل والرحمة هو: العلم والإيمان والقرآن، وهما اتباع الرسول، وهذا من أعظم الرحمة التي يرحم الله بها من يشاء من عباده، فإن الأمن والعافية، والسرور ولذة القلب ونعيمه وبهجته وطمأنينته : مع الإيمان والهدى إلى طريق الفلاح والسعادة، والخوف والهم والغم والبلاء والألم والقلق : مع الضلال والحيرة.

ومثل هذا بمسافرين أحدهما قد اهتدى لطريق مقصده فسار آمنا مطمئنا، والآخر قد ضل السلام فلم يدر أين يتوجه... فالرحمة التي تحصل لمن حصل له الهدى، هي بحسب هداه، فكلما كان نصيبه من الهدى أتم، كان حظه من الرحمة أوفر، وهذه هي الرحمة الخاصة بعباده المؤمنين، هي غير الرحمة العامة بالبَر والفاجر.

ثم قال: وقد جمع الله سبحانه لأهل هدايته بين الهدى والرحمة، والصلاة عليهم، فقال تعالى : ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [1]، قال عمر ابن الخطاب ﷺ: نعم العدلان ونعمت العلاوة، فبالهدى خلصوا من الضلال، وبالرحمة نجوا من الشقاء والعذاب، وبالصلاة عليهم نالوا منزلة القرب والكرامة، والضالون حصل لهم ضد هذه الثلاثة : الضلال عن طريق السعادة، والوقوع في ضد الرحمة، من الألم والعذاب والذم واللعن، الذي هو ضد الصلاة، ولما كان نصيب كل عبد من الرحمة على قدر نصيبه من الهدى، كان أكمل المؤمنين إيمانا أعظمهم رحمة)[2].

ثم بين ابن القيم أن غاية الهدى هي الرحمة فقال: كما قال تعالى في أصحاب رسول الله ﷺ ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [3]، وكان الصديق رضي الله عنه من أرحم الأمة... وكان أعلم الصحابة، باتفاق الصحابة، كما قال أبو سعيد الخدري ﷺ: (وكان أبو بكر ﷺأعلمنا به يعني النبي ﷺ، فجمع الله له بين سعة العلم والرحمة)، وهكذا الرجل كلما اتسع علمه اتسعت رحمته، وقد وسع ربنا كل شيء رحمة وعلما فوسعت رحمته كل شيء وأحاط بكل شيء علما، فهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها، بل هو أرحم بالعبد من نفسه، كما هو أعلم بمصلحة العبد من نفسه، والعبد لجهله بمصالح نفسه وظلمه لها، يسعى فيما يضرها ويؤلمها، وينقص حظها من

1 ـ البقرة (157).
2 ـ إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن القيم، 172/2، 174.
3 ـ الفتح (29).

كرامته وثوابه، ويبعدها من قربه، وهو يظن أنه ينفعها ويكرمها، وهذا غاية الجهل والظلم، والإنسان ظلوم جهول، فكم من مكرم لنفسه بزعمه وهو لها مهين، ومرفه لها وهو لها متعب، ومعطيها بعض غرضها ولذتها، وقد حال بينها وبين جميع لذاتها، فلا علم لـــه بمصالحها التي هي مصالحها، ولا رحمة عنده لها، فما يبلغ عدوه منه ما يبلغ هو من نفسه، فقد بخسها حظها، وأضاع حقها، وعطل مصالحها، وباع نعيمها الباقي، ولذتها الدائمة الكاملة، بلذة فانية مشوبة بالتنغيص، إنما هي كأضغاث أحلام، أو كطيف زار في المنام، وليس هذا بعجيب من شأنه، وقد فقد نصيبه من الهدى والرحمة، فلو هدي ورحم لكان شأنه غير هذا الشأن، ولكن الرب تعالى أعلم بالمحل الذي يصلح للهدى والرحمة[1]، فهو الذي يؤتيها العبد كما قال عن عبده الخضر: ﴿فَوَجَدَا عَبْداً مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾[2].

1 ـــ في صفة القرآن بأنه هدى ورحمة وذكرى للمؤمنين:

ـــ القرآن رحمة وذكرى للمؤمنين:

فالذين يؤمنون هم الذين يجدون مس هذه الرحمة في نفوسهم، وهم الذين يتذكرون فضل الله، وعظيم منته على البشرية بهذا التنزيل، ويستشعرون كرمه، وهو يدعوهم إلى حضرته وإلى مائدته، وهو العلي الكبير، وهم الذين ينفعهم هذا القرآن، لأنه يحيا في قلوبهم، ويفتح لهم عن كنوزه ويمنحهم ذخائره، ويشرق في أرواحهم بالمعرفة والنور[3].

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[4].

قال ابن كثير: إن في هذا القرآن لرحمة أي بيانا للحق، وإزاحة للباطل، وذكرى بما فيه حلول النقمات، ونزول العقاب بالمكذبين والعاصين لقوم يؤمنون[5].

ـــ والقرآن هدى ورحمة لمن عمل به:

---

1 ـ إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن القيم، 172/2، 174.
2 ـ الكهف (65).
3 ـ في ظلال القرآن، سيد قطب، 4 / 2746 ـ 2747
4 ـ العنكبوت (51).
5 ـ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 3 / 419.

فهذه الآيات التي هي في الحقيقة بينة لا لبس فيها ولا غموض، فيها بيان للحلال والحرام، وهي هدى للناس لمن لـــه رغبة في الهداية، ورحمة من الله، يدخل فيها كل من يطلبها أو يبحث عنها، فيجدها إذا عمل بما جاءت به الآيات، قال تعالى: ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ﴾[1].

أيها الناس لقد جاءكم من الله على لسان محمد ﷺ النبي العربي قرآن عظيم، فيه بيان للحلال والحرام، وهدى لما في القلوب، ورحمة من الله لعباده الذين يتبعونه ويقتفون مافيه[2]، وجاء في فتح القدير: فلا تعتذروا بالأعذار الباطلة وتعللوا أنفسكم بالعلل الساقطة فقد أسفر الصبح لذى عينين، جاءكم البينة الواضحة والهدى الذي يهتدي به كل من لـــه رغبة فى الاهتداء، ورحمة من الله يدخل فيها كل من يطلبها ويريد حصولها[3]، وفي الظلال: وهو هدى لما هم فيه من ضلالة، ورحمة لهم في الدنيا والآخرة[4].

ـــ وكذلك القرآن تفصيل لكل شيء وهدى ورحمة لمن آمن به وعمل به:
﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّـــذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[5].

قال ابن كثير: لقد كان في خبر المرسلين مع قومهم وكيف نجينا المـــؤمنين وأهلكنـــا الكافرين، عبرة لأولي الألباب: وهي العقول، وما كان لهذا القرآن أن يكـــذب ويختلـــق ولكن تصديق الذي بين يديه: أي من الكتب المنزلة من السماء، هو يصدق ما فيها مـــن الصحيح، وينفي ما وقع فيها من تحريف وتبديل وتغيير، ويحكم عليها بالنسخ أو التقرير، وتفصيل كل شيء: من تحليل وتحريم ومحبوب ومكروه، وغير ذلك من الأمر بالطاعـــات والواجبات والمستحبات، والنهي عن المحرمات وما شاكلها من المكروهات، والإخبار عن الأمور الجلية وعن الغيوب المستقبلة المجملة والتفصيلية، والإخبار عن الرب تبارك وتعـــالى بالأسماء والصفات، وتنزهه عن مماثلة المخلوقات فلهذا كان هدى ورحمة لقوم يؤمنـــون:

---

1 ـ الأنعام (157).
2 ـ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 2 / 193.
3 ـ فتح القدير، الشوكاني، 2 / 180.
4 ـ في ظلال القرآن، سيد قطب، 3/ 1238.
5 ـ يوسف (111).

تهتدي به قلوبهم من الغي إلى الرشاد، ومن الضلال إلى السداد، ويبتغون به الرحمة من رب العباد، في هذه الحياة الدنيا، ويوم المعاد[1].

وقال الطبري: وهو بيان أمره ورشاد من جهِل سبيل الحق فعمي عنه، إذا تبعه فاهتدى به من ضلالته، ورحمة لمن آمن به وعمل بما فيه، ينقذه من سخط الله وأليم عذابه، ويورثه في الآخرة جنانه، والخلود في النعيم المقيم، لقوم يصدقون بالقرآن وبما فيه من وعد الله ووعيده وأمره ونهيه، فيعملون بما فيه من أمره وينتهون عما فيه من نهيه[2].

ـــ وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[3].

قال الطبري: أقسم يا محمد لقد جئنا هؤلاء الكفرة بكتاب يعني القرآن الذي أنزله إليهم يقول لقد أنزلنا إليهم هذا القرآن مفصلا مبينا فيه الحق من الباطل، على علم منا بحق ما فصل فيه من الباطل الذي ميز فيه بينه وبين الحق على سائر الكتب، وهدى ورحمة : بيناه ليهتدي ويرحم به قوم يصدقون به وبما فيه من أمر الله ونهيه وأخباره ووعده ووعيده، فينقذهم به من الضلالة إلى الهدى، وهذه الآية مردودة على قوله كتاب أنزلناه إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين[4]، وقال القرطبي: وخص المؤمنون لأنهم المنتفعون به[5]، ولأنهم المغتنمون لآثاره المقتبسون من أنواره[6].

ـــ والقرآن تبصرة وهدي ورحمة لأهل الإيمان واليقين:

﴿هذا بصآئر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ [7]

(هذا القرآن والوحي الذي أتلوه عليكم، حجج عليكم وبيان لكم من ربكم، وإنما ذكر هذا ووحد في قوله هذا بصائر من ربكم لما وصفت من أنه مراد به القرآن والوحي وهدى: وبيان يهدي المؤمنين إلى الطريق المستقيم ورحمة رحم الله به عباده المؤمنين، فأنقذهم به من الضلالة والهلكة، هو بصائر من الله وهدى ورحمة لمن صدق بالقرآن أنه

1 ـ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 2 / 499.
2 ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، 13 / 91.
3 ـ الأعراف (52).
4 ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، 8 / 203.
5 ـ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 7 / 217.
6 ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود، 3 / 231.
7 ـ الأعراف (203).

تنزيل الله ووحيه، وعمل بما فيه دون من كذب به وجحده وكفر به، بل هو على الذين لا يؤمنون به غمّ وخزي)[1].

وتعقيبا على هذا البيان الحاسم الجازم، يتحدث عن اليقين، وعما في هذا القول و أمثاله في القرآن من تبصرة وهدي ورحمة لأهل اليقين:

قال تعالى: ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[2]، يقول سيد قطب: ووصف القرآن بأنه بصائر للناس، يعمق معنى الهداية فيه والإنارة، فهو بذاته بصائر كاشفة، كما أن البصائر تكشف لأصحابها عن الأمور، وهو بذاته هدى، وهو بذاته رحمة، ولكن هذا كله يتوقف على اليقين، يتوقف على الثقة التي لا يخامرها شك، ولا يخالطها قلق، ولا تتسرب إليها ريبة، وحين يستيقن القلب ويستوثق يعرف طريقه، فلا يتلجلج، ولا يتلعثم ولا يحيد، وعندئذ يبدوله الطريق واضحا، والأفق منيرا، والغاية محددة، والنهج مستقيما، وعندئذ يصبح هذا القرآن له نورا وهدى ورحمة بهذا اليقين[3].

وبقدر الإحسان يكون الهدى والرحمة،قال تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ(2) هُدىً وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [4]

يقول سيد قطب: هذا الكتاب الحكيم ، أو آياته، هدى ورحمة للمحسنين فهذه حاله الأصيلة الدائمة.. أن يكون هدى ورحمة للمحسنين، هدى يهديهم إلى الطريق الواصل الذي لا يضل سالكوه، ورحمة بما يسكبه الهدى في القلب من راحة وطمأنينة وقرار، وما يقود إليه من كسب وخير وفلاح، وبما يعقده من الصلات والروابط بين قلوب المهتدين به، ثم بين هذه القلوب ونواميس الكون الذي تعيش فيه، والقيم والأحوال والأحداث التي تتعارف عليها القلوب المهتدية، وتتعارف الفطر التي لا تزيغ [5].

ـــ القرآن موعظة وشفاء وهدى ورحمة للمؤمنين:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [6].

---

1 ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، 9 / 160 -162.
2 ـ الجاثية (20).
3 ـ في ظلال القرآن، سيد قطب، 5/ 3229.
4 ـ لقمان (2 -3).
5 ـ في ظلال القرآن، سيد قطب، 4/ 2783.
6 ـ يونس (57).

قال أبو السعود في تفسيره: (يا أيها الناس...قد جاءتكم موعظة تذكركم بالعواقب سواءً كان بالزجر والترهيب أو بالاستمالة والترغيب)[1]، وقال سيد قطب: (جاءتهم الموعظة لتحيي قلوبكم وتشفي صدوركم من الخرافة التي تملؤها، والشك الذي يسيطر عليها، والزيغ الذي يمرضها، والقلق الذي يحيرها، جاءت لتفيض عليها البرء والعافية، واليقين والاطمئنان، والسلام مع الإيمان)[2]، وقال في فهم القرآن: (فلما عقلوا ذلك عن ربهم ابتغوا منه الشفاء والهدي والرحمة، فداووا به قساوة قلوبهم وغسلوا به درن ذنوبهم، ووضعوا دواءه على أدواء قلوبهم، ونفوا به سوء النيات من ضمائرهم وأزالوا به وحر صدورهم)[3]، قال البيضاوي: (فهي هدى إلى الحق واليقين، ورحمة للمؤمنين حيث أنزلت عليهم فنجو بها من ظلمات الضلالة إلى نور الإيمان، وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد من درجات الجنان)[4]، وقال القرطبي: (ورحمة أي نعمة للمؤمنين، خصّهم لأنهم المنتفعون بالإيمان)[5].

وقال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاّ خَسَاراً﴾[6].. يقول سيد قطب: وفي القرآن شفاء، وفي القرآن رحمة، لمن خالطت قلوبهم بشاشة الإيمان، فأشرقت وتفتحت لتلقي ما في القرآن من روح، وطمأنينة وأمان[7].

وهو شفاء لما في الصدور من أدواء الريب، وأسقام الأوهام، ورحمة للمؤمنين به، العالمين بما في تضاعيفه، أي ما هو في تقويم دينهم، واستصلاح نفوسهم، كالدواء الشافي للمرضى، فإن كل القرآن كذلك[8].

وأما الظالمون فهم لا ينتفعون بما في القرآن من شفاء ورحمة، فهم خاسرون باستعلاء المؤمنين عليهم في الدنيا، وخاسرون في الآخرة بما يلقونه من عذاب مهين.

---

1 ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود، 4 / 155.
2 ـ ف ظلال القرآن، سيد قطب، 3/ 1799.
3 ـ فهم القرآن، الحارث بن أسد بن عبد الله المحاسبي، أبو عبد الله، ص269، تحقيق: حسين القوتلي، دار الفكر ـ بيروت، ط2، 1398هـ / 1978م.
4 ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي 3 / 204.
5 ـ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 8 / 353.
6 ـ الإسراء (82).
7 ـ في ظلال القرآن، سيد قطب، 4 / 2248.
8 ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود، 5 / 191.

ـــ والقرآن بيان لما اختلف فيه وهدى ورحمة لمن استعدت قلوبهم للإيمان:
قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[1].

قال سيد قطب: فوظيفة الكتاب الأخير والرسالة الأخيرة، هي الفصل فيما شجر من خلاف بين أصحاب الكتب السابقة وطوائفهم، إذ الأصل هو التوحيد، وكل ما طرأ على التوحيد من شبهات، وكل ما شابه من شرك في صورة من الصور، ومن تشبيه وتمثيل، كله باطل جاء القرآن الكريم ليجلوه وينفيه، وليكون هدى ورحمة لمن استعدت قلوبهم للإيمان وتفتحت لتلقيه[2].

وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [3].

قال الطبري: نسأل نبيهم الذي بعثناه إليهم للدعاء إلى طاعتنا، وقال من أنفسهم لأنه تعالى ذكره كان يبعث إلى أمم أنبياءها منها ماذا أجابوكم؟ وما ردوا عليكم؟ وجئنا بك يا محمد شاهدا على قومك وأمتك، الذين أرسلتك إليهم بما أجابوك؟ وماذا عملوا فيما أرسلتك به إليهم؟، ونزل عليك يا محمد هذا القرآن، بيانا لكل ما بالناس إليه الحاجة، من معرفة الحلال والحرام والثواب والعقاب، وهدى من الضلالة، ورحمة لمن صدق به، وعمل بما فيه من حدود الله، وأمره ونهيه، فأحل حلاله، وحرم حرامه، وبشارة لمن أطاع الله وخضع له بالتوحيد وأذعن له بالطاعة، يبشره بجزيل ثوابه في الآخرة، وعظيم كرامته[4].

فمن شاء الهدي والرحمة، فليسلم قبل أن يأتي اليوم المرهوب، فلا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون[5].

---

1 ـ النحل (64).
2 ـ في ظلال القرآن، سيد قطب، 4 / 2180.
3 ـ النحل (89).
4 ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، 14 / 161.
5 ـ في ظلال القرآن، سيد قطب، 4 / 2188.

المطلب الثالث: القرآن رحمة للبشرية

ـــ القرآن رحمة من الله يرحم به عباده من الشك والقلق والحيرة:

وقد جاء القرآن فطهر صفحات هؤلاء الرسل الكرام، مما لوثتهم به الأساطير الإسرائيلية، التي أضافوها إلى التوراة المنزلة، ما صحح تلك الأساطير عن عيسى ابن مريم ـــ عليه السلام ـــ وهذا القرآن المهيمن على الكتب قبله، الذي يفصل في خلافات القوم فيها، ويحكم بينهم فيما اختلفوا فيه،هو الذي يجادل فيه المشركون، وهو الحكم الفصل بين المتجادلين، وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين.. قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [1].

يقول سيد قطب: والمنهج يقيهم من الاختلاف والضلال، ويوحّد المنهج، ويعين الطريق، ويصلهم بالسنن الكونية الكبرى التي لا تختلف ولا تحيد، ورحمة يرحمهم من الشك والقلق والحيرة، والتخبط بين المناهج والنظريات التي لا تثبت على حال، ويصلهم بالله يطمئنون إلى جواره ويسكنون إلى كنفه، ويعيشون في سلام مع أنفسهم ومع الناس من حولهم، وينتهون إلى رضوان الله وثوابه الجزيل[2].

ـــ تجلي الرحمة في القرآن للبشرية:

﴿أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ(5) رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [3]

(وكان ذلك كله رحمة من الله بالبشر إلى يوم الدين، وما تتجلى رحمة الله بالبشر كما تتجلى في تنزيل هذا القرآن، بهذا اليسر الذي يجعله سريع اللصوق بالقلب، ويجعل الاستجابة له تتم كما تتم دورة الدم في العروق، وتحول الكائن البشري إلى إنسان كريم، والمجتمع البشري إلى حلم جميل، لولا أنه واقع تراه العيون !،رحمة من ربك نزل بها هذا القرآن في الليلة المباركة)[4].

وقال في التيسير: إن إرسال الرسل وإنزال الكتب التي أفضلها القرآن، رحمة من رب العباد بالعباد، فما رحم الله عباده برحمة أجل من هدايتهم بالكتب والرسل، وكل خير ينالونه في الدنيا والآخرة فإنه من أجل ذلك وسببه إنه هو السميع العليم أي يسمع جميع

---

1 ـ النمل (76).
2 ـ انظر في ظلال القرآن، سيد قطب، 4/ 2188.
3 ـ الدخان (5 ـ 6).
4 ـ في ظلال القرآن، سيد قطب، 5 / 3209.

الأصوات، ويعلم جميع الأمور الظاهرة والباطنة، وقد علم تعالى ضرورة العباد إلى رسله وكتبه، فرحمهم بذلك ومنَّ عليهم، فلله تعالى الحمد والمنة والإحسان[1].

ـــ القرآن نور ورحمة للناس يُخرجون به من الظلمات إلى النور:

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾[2].

ثم ذكر تعالى بعض الأدلة الدالة على وجوب الإيمان فقال: هو تعالى الذي يترل على محمد القرآن العظيم، المعجز في بيانه، الواضح في أحكامه، قال القرطبي: (يريد بالآيات البينات القرآن وغيره من المعجزات، وقيل المعجزات، أي ألزمكم الإيمان بمحمد ﷺ لما معه من المعجزات، والقرآن أكبرها وأعظمها)[3]، ليخرجكم بالقرآن من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، إن الله مبالغ في الرأفة والرحمة بكم، حيث أنزل الكتب وأرسل الرسل لهدايتكم، و لم يقتصر على ما نصب لكم من الحجج العقلية.

المطلب الرابع : في تشريع القرآن الكريم رحمة

فالشريعة كلها رحمة، ومبنية على مصالح العباد في المعاش والمعاد، يقول ابن القيم:

فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم، ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة، وإن أدخلت فيها بالتأويل، فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله ﷺ أتم دلالة وأصدقها، وهي نوره الذي به أبصر المبصرون، وهداه الذي به اهتدى المهتدون، وشفاؤه التام الذي به دواء كل عليل، وطريقه المستقيم الذي من استقام عليه فقد استقام على سواء السبيل، فهي قرة العيون وحياة القلوب، ولذة الأرواح، فهي بها الحياة والغذاء والدواء والنور والشفاء، والعصمة وكل خير في الوجود، فإنما هو مستفاد منها وحاصل بها، وكل نقص في الوجود فسببه من إضاعتها، ولولا رسوم قد بقيت لخربت الدنيا، وطوي العالم وهي

1 ـ تيسير الكريم الرحمن، السعدي، 1 / 772.
2 ـ الحديد (9).
3 ـ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 29/ 190.

العصمة للناس، وقوام العالم وبها يمسك الله السموات والأرض أن تـــزولا، فـــإذا أراد الله سبحانه وتعالى خراب الدنيا وطي العالم رفع إليه ما بقى من رسومها، فالشريعة التي بعث الله بها رسوله هي عمود العالم، وقطب الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة[1].

1 ــ الرحمة في التشريع ممثلة في التوسعة والتيسير على هذه الأمة:

ونلاحظ ذلك في تخيير الأمة بين الأخذ بالقصاص أو الدية أو العفو، قال تعالى: ﴿يَـــا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2]، قال في الكشاف: لأن أهل التـــوراة كتب عليهم القصاص البتة وحرم العفو وأخذ الدية، وعلى أهل الإنجيل العفـــو، وحـــرم القصاص والدية، وخيرت هذه الأمة بين الثلاث، القصاص والدية والعفو توسعة علـــيهم وتيسيرا[3].

(ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ)، قال الرازي: أي أثبت الخيار لكم في أخذ الدية وفي القصاص، رحمة من الله عليكم، لأن الحكم في اليهود حتّم القصاص، والحكم في النصارى حتمّ العفو، فخف عن هذه الأمة، وشرع لهم التخيير بين القصاص والدية، وذلك تخفيف من الله ورحمة في حق هذه الأمة، لأن ولي الدم قد تكون الدية آثر عنده من القـــود، إذا كان محتاجا إلى المال، وقد يكون القود آثر إذا كان راغبا في التشفي، ودفع شر القاتل عن نفسه، فجعل الخيرة له فيما أحبه رحمة من الله في حقه[4].

2 ــ الرحمة برفع الإثم في التشريع:

ـــ رحمة الله بالمضطر برفع الإثم عنه عند تناوله بعض المحرمات:

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[5]

---

1 ـ إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، 3 / 3، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل ـ بيروت، 1393هـ / 1973م.

2 ـ البقرة (178).

3 ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوازمي (467هـ -538هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، 248/1، مؤسسة التاريخ العربي ـ بيروت، ط1، 1417هـ/1997م.

4 ـ التفسير الكبير، الرازي، 45/5.

5 ـ البقرة (173).

ما حرم الله عليكم أيها الناس، إلا الميتة والدم ولحم الخنزير، وما ذُبِح للأنصاب، فسمي عليه غير الله، لأن ذلك من ذبائح من لا يحل أكل ذبيحته، فمن اضطر إلى ذلـــك، أو إلى شيء منه، لمجاعة حلت، فأكله غير باغ ولا عاد: قال الطبري: (غير باغ في أكلـــه إيـــاه، تلذذا لا لضرورة حالة من الجوع ولا عاد في أكله بتجاوزه ما حده الله وأباحه لـــه مـــن أكله، وذلك أن يأكل منه ما يدفع عنه الخوف على نفسه بترك أكله من الهلاك لم يتجاوز ذلك إلى أكثر منه)[1]، فإن الله غفور رحيم، قال القرطبي: (أي: يغفر المعاصي فأولى ألا يؤاخذ بما رخص فيه ومن رحمته أنه رخص[2])، فإن الله ذو ستر عليه، أن يؤاخذه بأكلـــه ذلك في حال الضرورة، رحيم به أن يعاقبه عليه[3]، وقال الطبري في موضع آخر: (فـــلا حرج عليه في أكله ما أكل من ذلك، فإن الله غفور فيما فعل من ذلك، فساتر عليه بتركه عقوبته عليه، ولو شاء عاقبه عليه، رحيم بإباحته إياه أكل ذلك عند حاجته إليه، ولوشاء حرّمه عليه ومنعه منه)[4]، أو رحيم به إذْ أحل له الحرام في الاضطرار[5].

يقول سيد قطب: فهذا الدين يسر لا عسر، ومن خاف على نفسه الموت أو المرض من الجوع والظمأ فعليه أن يتناول من هذه المحرمات قدر ما يدفع الضرر، غير باغ على مبـــدأ التحريم، ولا متجاوز قدر الضرورة التي أباحت المحظور[6].

فأباح الله في حالة الإضطرار أكل جميع المحرمات لعجزه عن جميع المباحات كما بينـــا، فصار عدم المباح شرطا في استباحة المحرم[7]، ومن هنا تتجلى الرحمة في القاعدة الأصولية ـــ الضرورات تبيح المحظورات ـــ وهنا تظهر رحمة الله عند الاضطرار.

وهكذ ختم الله تعالى الآية بالغفور الرحيم، فختم الآية بذكر صفة المغفرة لتضمنها دفع الشر، وتضمن ما قبلها جلب الخير، ولّما كان دفع الشر مقدما على جلب الخير، قدم اسم الغفور على الرحيم[8].

---

1 ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، 8 / 88.
2 ـ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 2 / (232 و 234).
3 ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، 14 / 188.
4 ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، 8 / 72.
5 ـ الدر المنثور، السيوطي، 1 / 408.
6 ـ في ظلال القرآن، سيد قطب، 4/ 2200.
7 ـ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 2 / 232.
8 ـ بدائع الفوائد، ابن القيم، ص88، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا، عادل عبد الحميد العدوي، أشرف أحمد الجمال، مكتبة نزار مصطفى الباز ـ مكة المكرمة، ط1، 1416هـ / 1996م.

ـــ رحمة الله برفع الإثم على من يُعدِّل في الوصية بما يتلافى به الجنف:

﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [1]

يقول سيد قطب: (فمن سمع الوصية فهو آثم إن بدلها بعد وفاة المورِّث، وهذا من التبديل بريء: قال تعالى: ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [2]، وهو – سبحانه – الشهيد بما سمع وعلم الشهيد للمورث، فلا يؤاخذ بما فعل من وراءه، والشهيد على من بدل فيؤاخذه بإثم التبديل والتغيير، إلا حالة واحدة يجوز فيها للوصي أن يبدل من وصية الموصي، ذلك إذا عرف أن الموصي إنما يقصد بوصيته محاباة أحد، أو النكاية بالوريث، فعندئذ لا حرج على من يتولى تنفيذ الوصية أن يعدل فيها بما يتلافى به ذلك الجنف، وهو الحيف، ويرد الأمر إلى العدل والنصف: ﴿فمن خاف من موص جنفا، أو إثما فأصلح بينهم فلا إثم عليه، إن الله غفور رحيم﴾ [3].

والأمر موكول إلى مغفرة الله ورحمته لهذا ولذاك، ومشدود إلى مراعاة الله في كل حال، فهي الضمان الأخير للعدل والإنصاف.

وهكذا نجد الأمر في الوصية مشدودا إلى تلك العروة التي شد إليها من قبل أمر القصاص في القتلى، والتي يشد إليها كل أمر في التصور الإيماني، وفي المجتمع الإسلامي على السواء)[4].

وختم الآية كذلك بذكر صفة المغفرة لتضمنها دفع الظلم الذي سيلحق بالورثة، في حالة ما نفذ الموصي هذه الوصية الجائرة.

﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [5]، وقال في التيسير: أي يغفر جميع الزلات، ويصفح عن التبعات لمن تاب إليه، ومنه مغفرته لمن غض من نفسه وترك بعض حقه لأخيه، لأن من سامح سامحه الله، غفور لميتهم الجائر في وصيته، إذا احتسبوا بمسامحة بعضهم بعضا لأجل براءة ذمته، رحيم بعباده حيث شرع لهم كل أمر به يتراحمون ويتعاطفون، فدلت هذه

1 - البقرة (182).
2 - البقرة (181).
3 - البقرة (182).
4 - في ظلال القرآن، سيد قطب، 1 / 167.
5 - البقرة (182).

الآيات على الحث على الوصية، وعلى بيان من هي لـــه، وعلى وعيد المبـــدل للوصـــية العادلة، والترغيب في الإصلاح في الوصية الجائرة[1].

ـــ رحمة الله في رفع الإثم عمّا سلف في من جمع بين الأختين في النكاح:

﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾ [2]

قال في جامع البيان: وحرم عليكم أن تجمعوا بين الأختين عندكم بنكـــاح، فـــأن في موضع رفع كأنه قيل والجمع بين الأختين إلا ما قد سلف، لكن ما قد مضى منكم فإن الله كان غفورا لذنوب عباده إذا تابوا إليه منها، رحيما بهم فيما كلفهم من الفرائض، وخفف عنهم فلم يحملهم فوق طاقتهم، يخبر بذلك جل ثناؤه أنه غفور لمن كان جمع بين الأختين بنكاح في جاهليته، وقبل تحريمه ذلك، إذا اتقى الله تبارك وتعالى بعد تحريمه ذلك عليـــه، فأطاعه باجتنابه، رحيم به وبغيره من أهل طاعته من خلقه[3].

وجاء لفظ غفورا ـــ بالتنوين ـــ أي كثير المغفرة على المستغفرين، فمن استغفره غفر له، ولو تكررت منه تلك الذنوب مرارا، فلا يمل الله من استغفارهم حتى يملوا، و يغفـــر الذنوب العظيمة، رحيما ـــ بالتنوين ـــ أي رحيما الذي وسعت رحمته كل شيء، حيث وفقهم لشمولهم هذا العفو ، ثم قبل ما سلف منهم من شيء عظيم، وهو الجمـــع بـــين الأختين.

ـــ رحمة الله بالضعفاء في رفع الإثم عنهم :

﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَى وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [4]

ليس على أهل الزمانة، وأهل العجز عن السفر والغزو، ولا على المرضى ولا على من لا يجد نفقة يتبلغ بها إلى مغزاه، حرج وهو الإثم، ليس عليهم إثم إذا نصحوا لله ولرســـوله في مغيبهم عن الجهاد مع رسول الله ﷺ، فليس على من أحسن، فنصح لله ورسوله في تخلفه

1 ـ تيسير الكريم المنان في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن ناصر السعدي، تحقيق: ابن عثيمين، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، 1421هـ/2000م.
2 ـ النساء (23).
3 ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، 4 / 323.
4 ـ التوبة (91).

عن رسول الله ﷺ وعن الجهاد معه لعذر يعذر به، طريق يتطرق عليه فيعاقب من قبلـــه، والله ساتر على ذنوب المحسنين، يتغمدها بعفوه لهم عنها، رحيم بهم أن يعاقبهم عليها[1].

ـــ رحمة الله برفع الإثم على من نسب الرجل لغير أبيه خطأ:

﴿ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَـــإِخْوَانُكُمْ فِـــي الـــدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾[2]

قال البيضاوي: أدعوهم لآبائهم، أنسبوهم إليهم هو أقسط عند الله، ومعناه البـــالغ في الصدق، فإن لم تعلموا آباءهم فتنسبوهم إليهم، فهم إخوانكم في الدين وأولياؤكم فيـــه، فقولوا: هذا أخي ومولاي بهذا التأويل، ولا إثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين، قبل النهي أو بعده على النسيان أو سبق اللسان، ولكن الجناح فيما تعمدت قلوبكم، أو ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح، وكان الله غفورا رحيما لعفوه عن المخطـــئ[3]، قـــال القرطبي: غفورا للعمد، و رحيما برفع إثم الخطأ[4]، وقال في فتح القدير: يغفر للمخطـــئ ويرحمه ويتجاوز عنه، أو غفورا للذنوب رحيما بالعباد، ومن جملة من يغفر لـــه ويرحمه؛ من دعا رجلا لغير أبيه خطأ أو قبل النهي عن ذلك[5]، ومعلوم أن الله لا يؤاخذ بالخطأ، ويقبل التوبة من المتعمد.

3ـــ الرحمة تدرك من تحجبت :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذَلِـــكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾[6]

قال البيضاوي: يغطين وجوههن وأبدانهن بملاحفهن إذا برزن لحاجة، و من للتبعيض فإن المرأة ترخي بعض جلبابها وتتلفع ببعض، و ذلك أدنى أن يعرفن؛ يميزن مـــن الإمـــاء والقينات، فلا يؤذيهن أهل الريبة بالتعرض لهن، وكان الله غفورا لما سلف، رحيما بعباده

1 ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، 10 / 211.
2 ـ الأحزاب (5).
3 ـ أنظر أنوار التنزيل، البيضاوي، 4 / 364.
4 ـ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 14 / 120.
5 ـ فتح القدير، الشوكاني، 4 / 261.
6 ـ الأحزاب (59).

حيث يراعي مصالحهم حتى الجزئيات منها[1]، قال الطبري: (وكان الله غفورا) لما سلف منهن، من تركهن إدناءهن الجلابيب عليهن، (رحيما) بهن أن يعاقبهن بعد توبتهن بإدناء الجلابيب[2].

فلتدرك كل مؤمنة أن الله سبحانه وتعالى كثير المغفرة، عظيم المغفرة على المذنبين، أو ما بدر منهم من معصية، إذا استغفروا الله، فالله عظيم الرحمة والإحسان، الذي من إحـــسانه أن وفقهم لولوج هذا الباب الواسع والمفتوح على مصرعيه، وهو باب منجي من العقوبة، موصل إلى مرضاة الله وعفوه.

1 ـ أنوار التنزيل، البيضاوي، 4 / 386.
2 ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، 22 / 47.